مجلة المستقبل للدراسات الإنسانية

عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة

(FJSH)

المعتمدة من المجلس الأعلى للجامعات

بجمهورية مصر العربية

جميع حقوق الطبع محفوظة

تصدرها :

مؤسسة العميد
أ.د. صابر مشالي للتطوير والتنمية والتدريب (DDS)
Ameed Prof. Dr. Saber Mashaly Foundation For Development & Training (DDS)

الترقيم الدولي للنسخة الورقية المطبوعة للمجلة (٢٨٠٥ ـ ٣٢٧٣).

The print ISSN of the Journal is 2805 - 3273.

الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية للمجلة (٣٢٨١ ـ ٢٨٠٥).

The online ISSN of the Journal is 2805 - 3281.

الاستعارة الأنطولوجية (الوجودية) والاستعارة البنيوية في الأجوبة المسكتة في ضوء النظرية الإدراكية- العقد الفريد أنموذجاً"

أ. أحمد بن عبد السلام محمد العمري
الباحث بقسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية وآدابها
جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن النسق التصوري الذي انطوت عليه الاستعارة الأنطولوجية، في نماذجها الواردة في كتاب "المجنبة في الأجوبة من كتاب العقد الفريد"، والكشف عن الوظائف الإدراكية في الاستعارة الأنطولوجية ، وإلى الوقوف على الإستراتيجيات في الجواب المسكت، والكشف عن النسق التصوري الذي انطوى عليه الجواب المسكت في نماذجه الواردة في العقد الفريد، باستخدام المنهج الاستقرائي، الذي يجمع الظاهرة، ويلاحظها، ويحللها، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، من أهمها:

- أن كتاب المجنبة في الأجوبة- مثل كل كتب اللغة العربية في القديم والحديث- مليء بالاستعارات التصورية بأنواعها المختلفة.
- أن الاستعارات التصورية الاتجاهية المكتشفة في الأجوبة المسكتة لها وظائف عديدة، منها الإقناع، والمحاججة، والتغلب على الخصم بالكلام، وإظهار القدرة والقوة في البيان.
- أن الاستعارات التصورية في الأجوبة المسكتة غزيرة وكثيرة ومألوفة، حتى أصبح القارئ لا يكتشفها بسهولة؛ لأنها تظهر كأنها لغة قديمة أو معتادة، وليس فيها أصل استعاري، أي كأن ليس فيها استعارة أصلًا.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة الأنطولوجية - النظرية الإدراكية - العقد الفريد - الوظائف الإدراكية.

Abstract:

- This research aims to uncover the conceptual pattern embedded in the Ontological metaphor, in its models mentioned in the book "Al-Majnibah fi Al-Ajwibah min Kitab Al-Aqd Al-Farid" (The Avoidance in Answers from the Book of the Unique Necklace), and to uncover the cognitive functions in the Ontological metaphor
- and to stand on the strategies in the silent answer, and to uncover the conceptual pattern embedded in the silent answer in its models mentioned in The Unique Necklace, using the inductive approach, which collects the phenomenon, observes it, and analyzes it. The research reached several results, the most important of which are:
- The book "Al-Majnibah fi Al-Ajwibah" - like all Arabic language books in ancient and modern times - is full of conceptual metaphors of various kinds.
- The directional conceptual metaphors discovered in the silent answers have many functions, including persuasion, argumentation, defeating the opponent with speech, and showing the ability and power of expression.
- Conceptual metaphors in silent answers are abundant, plentiful, and familiar, so that the reader does not easily discover them; because they appear as if they are an old or customary language, and there is no original metaphorical origin in them, that is, as if there is no metaphor at all.
- Keywords: Metaphor - Ontological metaphor - Cognitive theory - Unique contract - Cognitive functions

المبحث الأول: الاستعارة الأنطولوجية (الوجودية) وتطبيقات على نماذج منها.

لا تختلف الاستعارات الأنطولوجية والبنيوية عن الاستعارات الاتجاهية التي درسناها في الفصل السابق، فكل الاستعارات التصورية ترتبط ببعضها بشكل معين، "والحقيقة أن لايكوف ومارك جونسون لا يريان أنواع الاستعارات التصورية منفصلة عن بعضها، بل ترتبط ببعضها وهناك اتصال فيما بينها لأنها تنشأ عن الأساس ذاته وهو الأساس التصوري. يقول جورج لايكوف: "تمدنا الاتجاهات الفضائية مثل فوق- تحت، أمام-خلف، وأعلى-أسفل، ومركزي-هامشي، وقريب- بعيد، بأساس غني جدا لفهم التصورات بواسطة الاتجاه. إلا أن الاتجاه لا يكفي، فتجربتنا مع الأشياء الفيزيائية والمواد تعطينا أساسا إضافيا للفهم، وهو أساس قد يتعدى الاتجاه البسيط. إن فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها مواد من نوع واحد. وحين نتمكن من تعيين identify تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد فإنه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها وجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطلقنا"[١].

وهكذا فإن الاستعارة الأنطولوجية تقوم على ربط أنساق وموضوعات مجردة اعتمادا على أنساق فيزيائية محسوسة، بحيث يتم عد الموضوعات المجردة وما يحدث من انفعالات، والحزن على أنها موضوعات حسية، ليتم فهمها من خلال ما هو محسوس، وهي دائمة الحضور في مستوى تفكيرنا، وهذا النوع يتفرع إلى: الكيان والمادة والاستعارات التشخيصية"[٢]. أي أن الأساس في الاستعارة الأنطولوجية أنها تمنح الأشياء المجردة تصورا يعتمد على أنساق فيزيائية محسوسة. فتتحول الأفكار والمشاعر والمعاني الذهنية إلى أشياء لها

---

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٥.

(2) آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، العدد٤٥ الجزء٢، ربيع الأول ١٤٤٢، تشرين الأول، ٢٠٢٠م، ص٥٥٧.

وعاء أو فضاء أو كتلة أو قوام أو كمية.

فهذا يعني أن هناك تشابكا أو ارتباطا بين الاستعارات الاتجاهية والاستعارات الأنطولوجية لأنها تنبع من التصور الفيزيائي ذاته ومن خبرة الإنسان بالأشياء الفيزيائية أو البيئة ومحيطه المادي. وكلها ترتبط بعقل الإنسان وطريقة تعامله مع اللغة بتأثير من المحيط المادي والتجارب الفيزيائية وعلاقة العقل بالجسد ومحيطه المادي أو الكون من حوله. "إنه بقدر ما تنتج التجارب الأساسية للتوجه الفضائي الإنساني استعارات اتجاهية، تكون تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية وبخاصة أجسادنا مصدرا لأسس استعارات أنطولوجية متنوعة جدا، أي أنها تعطينا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار.. إلخ باعتبارها كيانات ومواد"[١].

وهكذا فإننا نستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث (events) والأعمال (actions) والأنشطة (activities) والحالات (states). إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء، والأنشطة باعتبارها مواد، والحالات باعتبارها أوعية، إن سباقا مثلا، حدث قد نعتبره كيانا مستقلا. فالسباق يتم في زمان ومكان، وله حدود جد مضبوطة. ولهذا ننظر إليه باعتباره شيئا/ وعاءً، يوجد فيه المتسابقون (وهم أشياء)، وتوجد فيه أحداث كالانطلاقة والوصول (تعتبر استعاريا أشياء)، ويوجد فيه نشاط الجري (الذي يعد استعاريا مادة) [٢].

ومثال ذلك قول ابن أبي مليكة: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أفصح الناس، وإذا تكلم فأعربُ الناس، وإذا أفتى فأفقه الناس ما رأيت أكثر صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس إذا تكلم".

---

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٥.

(2) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٨.

فتعبير الجواب الحاضر أو كما قال بالضبط (أحضر جوابا) فيه استعارة حيث يتصور الكلام بصورة الأشخاص الذين يحضرون أو يغيبون، فإذا أجاب المرء وتكلم بسرعة وبديهة فهذا حضور، وإذا امتنع أو انقطع الكلام والجواب فهذا غياب، فكأن الجواب شخص أو رجل أو إنسان.

والاستعارات التصورية لها مسالك عديدة، منها ما يجعل المعاني والقيم المجردة تتحول إلى أشياء مادية وكيانات ملموسة، ومنها ما يجعل الأشياء أشخاصا، أو كأنهم بشر يفعلون بعض أفعال البشر، وتنسب لهم صفات البشر وأفعالهم وأنشطتهم، وهذه تسمى "الاستعارات التشخيصية، وهذا النوع من الاستعارات يخصص فيها الشيء الفيزيائي كما لو كان شخصا، وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية"[1].

الاستعارة الوجودية تقوم على بنينة ما هو موجود انطلاقا مما هو محسوس، وتمنحنا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار باعتبارها كيانات ومواد، ويتخذ هذا النمط سبلا متعددة حسب تنوع حاجاتنا، إذ يأتي على سبيل:

- الإحالة، مثل: نحن نعمل من أجل السلام
- التكميم مثل: يتطلب إنهاء هذا الكتاب قدرا كبيرا من الصبر.
- تعيين المظاهر مثل: وحشية الحرب تجعلنا غير إنسانيين.
- تعيين الأسباب، نحو: كلفهم خلافهم الداخلي الهزيمة.
- تحديد الأهداف، نحو: إني أغير نمط حياتي كي أعثر على السعادة

(1) آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، العدد٤٥ الجزء٢، ربيع الأول ١٤٤٢، تشرين الأول، ٢٠٢٠م، ص٥٥٧.

الحقيقية"[١].

وهكذا فإننا حسب لايكوف وجونسون نستعمل الاستعارات الأنطولوجية لحاجات مختلفة، والاختلافات الحاصلة بين هذه الأنواع من الاستعارات تعكس هذه الاحتياجات المختلفة التي استعملت هذه الاستعارات من أجلها، لتنظر مثلا إلى تجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر استعاريا كيانا نسميه التضخم. وبهذا نحصل على طريقة للإحالة على هذه التجربة، فيصبح التضخم كيانا. وتنتج هذه الاستعارات:

- إن التضخم يخفض مستوى عيشنا
- إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش
- يجب محاربة التضخم
- يضطرنا التضخم إلى اتخاذ بعض الإجراءات
- يلتهم التضخم جزءا كبيرا من عائداتنا"[٢].

فهذا مثال لما يمكن أن يكون من نتيجة لهذه الاستعارة الأساسية أو لهذا النموذج الاستعاري في تصور شيء عبر شيء آخر، أو نموذج للاستعارة الأنطولوجية يمكن أن نحلل في ضوئه الاستعارات الأنطولوجية في الأجوبة المسكتة في كتابة المجنبة في الأجوبة في العقد الفريد.

وتأسيسا على هذا فإن الاستعارة الأنطولوجية مرتكزة على مبدأ جعل المفاهيم الذهنية والتصورات أشياءً، فنبصر المجرد غير المدرك كيانا محسوسا ذا وجود مادي. فتستخدم بهذا الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات، فنتصور الأحداث والأعمال باعتبارها أشياء، والأنشطة

---

(1) عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٦٩.

(2) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٦.

باعتبارها موادّ، والحالات باعتبارها أوعية. ومن هذا المنطلق انقسمت الاستعارة الأنطولوجية إلى ١- استعارة الكيان والمادة: تعامل الأشياء والموجودات على أنها كيانات مادية. ٢- استعارات الوعاء: تعامل التصورات والمفاهيم المجردة على أنها أوعية تمتلك مساحات واضحة ومحدودة واتجاهات فضائية داخل وخارج الحدود الطبيعية والفيزيائية. ٣- استعارات التشخيص: تمثل معاني المقولات على أنها كائن بشري. فتقدم كل مفاهيم وتصورات الأشياء كما لو كانت أشخاصا، وتبرز قيمة هاته الاستعارات إجمالا في تجسيد المجرد والتفاعل معه على أنه من الماديات، وتفتح أكبر باب للفهم والإدراك من خلال توظيف ما حولنا في استيعاب ما لا يرى، وفي هذا ضياع للخيال وترسخ للتصور الجديد في الذهن لدرجة يبدو وكأنه الواقع"[1]. وبالتالي فإن الاستعارات التصورية تساعد بدرجة أكبر على فهم الأشياء المجردة، وتستحضر إلى الحيز الفيزيائي أشياء غير ملموسة، وهكذا يساعد الاستخدام اللغوي الاستعاري على فهمها بصورة أوضح، فيستند العقل في إدراك الشيء المجرد بحالاته وأجزائه إلى الخبرات السابقة لدى العقل في معرفة الأشياء المادية. فيقولون مثلا داس كرامته بحذائه، فالكرامة شيء معنوي ليس له كتلة أو حضور فيزيائي ومع ذلك فإن هذا التصور الاستعاري يجعلها متصورة في صورة الشيء المادي الملموس.

والأشياء المجردة كثيرة في كل اللغات، "وفي الاستعارات الأنطولوجية يتم النظر إلى الموضوعات المجردة أو الأشياء غير المدركة بشكل مباشر من نحو الانفعالات؛ مثل الحب والغضب بوصفها مدركة حسيا، وهي دائمة الحضور في مستوى تفكيرنا إلى درجة أننا نتعامل معها على أساس كونها من المسلمات

(1) عبد المطلب عبد الحق، وعواطف قاسمي الحسني، جمالية الاستعارة التصورية بأنماطها الثلاثة (الأنطولوجية/البنيوية/ الاتجاهية) من خلال كتاب نهج البلاغة، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد ٠٦ العدد ٠٣ السنة: ٢٠٢٢م، الصفحات (٢٨٦-٣٠٠).

والبديهيات"[١]. أي أنها تكتسب الاعتياد والثبات بكثرة الاستخدام، حيث يتعود عليها الناس وينسون الأصل الاستعاري الذي قامت عليه، أي ينسون أنها في أصلها تقوم على استعارات، وتبدو كأنها تعبيرات حقيقية.

ومن هنا فإن وظيفة الاستعارة التصورية بالأساس يخدم التواصل، أي أنها حاضرة في اللغة بكل مستوياتها، لغة الحياة اليومية أو لغة الإبداع والنصوص الأدبية، فليست الاستعارات التصورية مقصورة على الأدب أو على الإبداع، "وهكذا تؤدي الاستعارة دورا تواصليا مهما يجعلنا نعيش ونتواصل ونتعامل ونعيش بها يوميا وفي الغالب لا نشعر بذلك، مثلما أن الاستعارة تنظم معارفنا وسلوكيات حياتنا وتضيء أشكال التفاعل داخل المجتمع، مما يجعلنا نفهم بنيته ونظامه، حيث يتم النظر إلى الأشياء غير المعتادة عن طريق المعتاد"[٢]. أي أنها تقريب شيء للعقل عن طريق شيء آخر أكثر وضوحا منه.

وكما في حالة الاستعارات الاتجاهية فإنه لا يتم الانتباه إلى الطابع الاستعاري لجل هذه التعابير، ومن أسباب ذلك أن الاستعارات الأنطولوجية شأنها شأن الاستعارات الاتجاهية تخدم مجموعة محدودة من الاحتياجات كأن نحيل أو نكمم.. إلخ. إن مجرد اعتبارنا شيئا غير فيزيائي كيانا أو مادة لا يسمح لنا بأن نفهم عنه شيئا مهما. إلا أنه بالإمكان تطوير الاستعارات الأنطولوجية، وهذان مثالان عن الكيفية التي تم بها تطوير الاستعارة الأنطولوجية. الذهن مادة في ثقافتنا:

---

(1) عبد العزيز صابر عبد العزيز، الاستعارات الإدراكية ودورها في الخطاب السياسي.. خطاب شيخ الأزهر في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام نموذجا، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، المجلد ٤٥ العدد ١ يناير ٢٠٢٢م، ص١٢.

(2) عبد العزيز صابر عبد العزيز، الاستعارات الإدراكية ودورها في الخطاب السياسي.. خطاب شيخ الأزهر في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام نموذجا، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، المجلد ٤٥ العدد ١ يناير ٢٠٢٢م، ص١٥.

الذهن آلة

- عقلي غير قادر على الاشتغال الآن

- لقد صدئ عقله

- اشتغلنا في هذا المشكل طوال اليوم ونفدت طاقتنا.

الذهن شيء هشّ

أنا هشّ جدا

دخلت السفينة مجال رؤيتي

لقد غدا خارج حدود رؤيتي"[١].

الاستعارة الأنطولوجية التشخيصية:

ومن وظائف الاستعارة الأنطولوجية التشخيص، فهذا نمط من الاستعارة الإدراكية الأنطولوجية يكون الهدف فيها تحويل الشيء المراد تصوره إلى شخص أو أن تنسب له الأفعال التي يؤديها الأشخاص. فيكون تصور مجال المصدر تحويله إلى شخص في مجال الهدف أو ال target. فنقول لدينا في مجتمعنا في الثقافة العربية والإسلامية حياؤه يمنعه من فعل كذا، مروءته تمنعه أو تقف حائلا دون ارتكاب كذا. أو نقول نسبه وحسبه يمنعه من فعل كذا. ونقصد أيضا ما أن شرفه أو مجد عائلته هو الذي يمنعه من أفعال معينة.

والتشخيص ليس كله نمطا واحدا أو ينبع من تصور واحد، ولكنه يختلف بحسب الأشياء التي يتم انتقاؤها من المجال المصدر، أي الصفات أو الأفعال التي تنسب للمشبه به أو للشيء الهدف أو المقصود تصوره بصورة فيزيائية. حيث" إننا في كل حالة من الحالات نرى ما كان غير بشري بشريا. إلا أن التشخيص ليس عملية فريدة واحدة وعامة، فكل تشخيص يختلف عن الآخر باعتبار المظاهر

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٤٧ و٤٨.

التي ينتقيها الناس، للنظر مثلا إلى الجمل الآتية: هاجم التضخم أسس اقتصادنا- طرحنا التضخم أرضا- إن ألد أعدائنا حاليا هو التضخم. وهكذا...هنا يتم تشخيص التضخم إلا أن الأمر لا يرتبط أساسا باستعارة التضخم عدو، فهذه الأخيرة أخص من الأولى. وهذه الاستعارة لا تعطينا فقط وسيلة دقيقة للتفكير في التضخم، ولكنها تعطينا، في الوقت نفسه، وسيلة لمحاربته وضبطه. فالتضخم بالنسبة لنا عدو يمكن أن يهاجمنا، ويطعننا ويسرقنا ويدمرنا"[١].

ربما تكون الاستعارات الأنطولوجية الأكثر بداهة هي تلك الاستعارات التي نخصص فيها الشيء الفيزيائي كما لو كان شخصا. وهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة. وهذه بعض الأمثلة:

نظريته تفسر سلوك الدجاج المربى اصطناعيا

هذا الأمر يشجب النظريات السابقة

لقد خدعتني الحياة

التضخم يلتهم كل امتيازاتنا

ديانته تحرم عليه شرب الخمر"[٢].

ومن هذا النوع كثير جدا في كلام العرب، وفي اللغة العربية في كل عصورها، فيتم تشخيص المعاني المجردة، وينسب لها التصور الاستعاري أفعالا وصفات من أفعال البشر وصفاتهم. فتجد الحق على سبيل المثال كأنه شخص، والبلاء يسعى للناس، والخير أيضا يسعى للناس أو يعرض عنهم. وهكذا في أمثلة عديدة، ومثال ذلك ما جاء في كلام بين عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس بعد قتل علي بن

---

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٥٣.

(2) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٥١.

أبي طالب، حيث قال عمرو: **إن هذا الأمر الذي نحن فيه وأنتم، ليس بأول أمر قاده البلاء، وقد بلغ بنا وبكم إلى ما ترى، أبقت لنا هذه الحرب حياءً ولا صبر، ولسنا نقول ليت الحرب عادت، ولكنا نقول: ليتها لم تكن كانت، فانظر فيما بقي بعين ما مضى؛ فإنك رأس هذا الأمر بعد عليّ، فإنك أمير مطاع ومأمور مطيع، ومشاور أمين، وأنت هو"**[1]. فهنا نجد استعارات تشخيصية تقوم على تصور الأمور المعنوية أشخاصا ينسب لها أفعال مثل أفعال الأشخاص، فيقول (قاده البلاء)، فالبلاء يقود الأشياء إليهم أو يقود إليهم الموت وسفك الدماء. وقال أيضا (ليت الحرب عادت)، فيجعل هذا التصور الاستعاري الحرب شخصا تذهب وتجيء وتعود وتقتل وتميت، والحرب بالأساس حالة معنوية وحالة من الفتنة، فالذي يذهب ويجيء ويقتل هم الأشخاص وليس الحرب نفسها.

ومثل هذه الاستعارة بالضبط ما جاء في قول عبد الله بن الزبير لمعاوية: **"إذًا والله نطلق عنان الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد، حافاتها الأسل، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة"**[2]. فالحرب هنا تصبح كائنا حيا، وتخرج من نطاق الأشياء المعنوية إلى الأشياء المادية التي لها حضور فيزيائي ملموس، وتظهر هنا كأنها دابة مربوطة أو مقيدة ولها عنان، فيتم تقييدها أحيانا ويتم إطلاق العنان لها أحيانا.

وهكذا فإن التشخيص له مسارات كثيرة وليس نمطا واحدا، "التشخيص إذن مقولة عامة تغطي عددا كبيرا ومتنوعا من الاستعارات حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه. وما تشترك فيه كل هذه الاستعارات أنها تمثل ما صدقات لاستعارات أنطولوجية، وأنها تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري، فنفهما اعتمادا على محفزاتنا وأهدافنا وأنشطتنا وخصائصنا. إن النظر إلى شيء مجرد، مثل التضخم، عن طريق ما هو بشري له سلطة تفسيرية تشكل، بالنسبة لغالبيتنا الوسيلة الوحيدة

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٨.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٣.

لإعطائه معنى"[1]. ومثل هذا كثير في اللغة العربية وفي الأجوبة المسكتة، فنجد مثلا تشخيص الحق وتشخيص الحرب، وتشخيص الحب والمودة، فيقولون مثلا منعي عنه حبي له، ويقولون حالت المودة القديمة بين إيذائي له. ويقولون ولت الحرب أدبارها، سحب الحرب أذيالها، ويقولون فلان يسير مع الحق في طريق واحد، وهكذا.

ومن الاستعارات التصورية التي تقوم على التشخيص وفيها امتداد وتطور في التصور حيث يتم تجاوز الأصل إلى الفروع قول الحسن بن علي:

ومارستُ هذا الدهر خمسين حجة وخمسا أزجّي قائلا بعد قائل

فلا أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل

وقد أشرعت فيّ المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت بعاجل(٢)

حيث يتم تشخيص المنايا هنا ويتم تصورها شخصا له أكف تشرعها أو تطلقها في أرواح البشر. ليتم تصور الموت بهذه الصورة المادية ليكون حاضرا بجسده أو بحضور فيزيائي، فتكون له أيدي أو أكف، وهو ما يفيد تأكيد حضور الموت وتأكيد شعور الحسن بن علي به وبقربه منه.

وبذلك فإن الاستعارات تعين في فهم العالم وفهم الظواهر وجعلنا متأتية للعقل أو متاحة للتصور في ضوء الخبرات السابقة للجسد مع المحيط الفيزيائي أو علاقة الإنسان بالأشياء المادية الملموسة من حوله.

تبدو الاستعارات مسيطرة تماما على العقل العربي المستخدم للغة، ولذلك نجد أن الاستعارات منتشرة في كل أرجاء اللغة أو في غالبية التعبيرات اللغوية. وبخاصة تلك الاستعارات الأنطولوجية التي تحول المجرد إلى مادي ملموس أو

---

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٥١.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص١٠٥.

تحول المجرد إلى أشخاص أو أشياء فيزيائية من تجارب الإنسان معها أو خبراته بها. فاستعارة الجدال حرب من الاستعارات الأساسية التي في اللغة العربية مثل اللغة الإنجليزية حسب طرح جورج لايكوف ومارك جونسون في أمثلتهم التي استعرضوها في كتابهم.

وتعبير الأجوبة المسكتة هو نفسه يأتي ضمن هذا التصور الاستعاري الذي يتم تصور النقاش أو الكلام بصورة الحرب أو الصراع، ومحاولات تغلب طرف على طرف آخر، والجواب المسكت هو بمثابة قذيفة مدفعية قضت على الطرف الآخر وأنهت الحوار وأعلنت انتصار صاحب الجواب المسكت أو الضربة القاضية في النقاش.

وهناك استعارات كثيرة جدا في هذا الباب أو من هذا التصور الذي يحول الأشياء المجردة المعنوية إلى أشخاص، فيتم تشخيص الحق، وتشخيص الكلام أو تشخيص اللسان، أو غيرها من الأشياء التي ينسب لها أفعال البشر من السير في طريق أو اختيار سبيل أو يسلك سبيل أو أن يغدر اللسان.

وهناك نماذج أخرى كثيرة للاستعارات التي تحول الأشياء المجردة إلى وعاء أو شيء مادي، ومثال ذلك قول ابن عبد ربه نفسه في مطلع كلامه في كتاب المجنبة في الأجوبة. **(قد مضى قولنا في كلام الأعراب)** [1]. فالكلام هنا كأنه شيء وحرف الجر في يدل على هذا، قولك في شيء، أي يختص به ولكنها مستعارة من الوعاء أو الاحتواء، أي أن القول يكون في هذا الباب أو في هذا الموضوع. ومثله حين يقول أدخل هذه الفكرة في ذلك الموضوع، فكأن الموضوع وعاء وتم وضع الفكرة فيه. وهذا ما يقصده ابن عبد ربه، فجعل تدوينه أو كتابته في جزء سابق من الكتاب في موضوع أو في باب معين هو كلام الإعراب مثل الشيء المادي الملموس أو الوعاء، أي أدخله في هذا الموضوع. وهذه الاستعارات تبدو بديهية أو معتادة لقدمها أو للاعتياد عليها وللألفة التي تحققت لها.

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

وأمثلة هذا النوع من الاستعارة كثير جدا في الأجوبة المسكتة وفي اللغة العربية في كل عصورها بشكل عام، ومن ذلك قول ابن عبد ربه أيضا **(ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام التي هي أصعب الكلام مركبا)** [1]، أي في باب الجوابات، وكأنه يضع قوله أو تدوينه وكتابته في الجوابات. وأصعب الكلام مركبا هي أيضا استعارة فيها تجسيد وتجسيم، حيث يتم تشبيه الكلام أو نوع منه بالدابة صعبة المراس، التي لا يقدر عليها أي راكب أو مستخدم. وهي استعارة أنطولوجية لأنها غيرت جوهر الشيء أو كيانه من شيء مجرد إلى شيء ملموس، ومنحته الحركة أو السيطرة عليه. وهذه الاستعارة تتضمن أجزاء أو تتضمن تصورات أخرى، أن المتحدث يكون راكبا، والركوب هو حركة الكلام والتقدم فيه وإنجاز المهمة، وبلوغ المعنى أو الهدف من الكلام مثل بلوغ الموضع الذي يريد الراكب أن يصل إليه. فتكون الاستعارة قد نقلت حالة كاملة من التصور، وليس مجرد كلمة بكلمة. بل حالة الانتقال والركوب والاستخدام والتوظيف، ومثلما يكون من استخدام الإنسان للدابة أو للراحلة التي يركبها لينتقل بها من مكان لمكان يكون الكلام هكذا، يستخدمه الإنسان ويركبه لينتقل من مكان إلى آخر.

والأمر نفسه في استعارة **(الكلام طريق)** فهي أشبه باستعارة الجدال حرب. فيكون التصور في هذه الاستعارة كاملا ومختلفا، فيتم تصوير الكلام بالسير في طريق، أو الكلام انتقال وحركة من مكان إلى مكان آخر. وبهذا فإن الأمر لا يقتصر على هذا التصور بل يتطلب ذلك ويشمل تفاصيل أخرى، أن تكون الطريق ضيقة أو سهلة أو صعبة أو وعرة أو خطرة أو فيها مزالق وفخاخ. وهذه الاستعارة قريبة من استعارة **(الكلام دابة)** أو **(اللغة دابة)**. فهناك علاقة تصورية بين الاثنين.

ومثل هذا النوع من الاستعارات أن يجعل الرجل في كلامه الدين يرث دينا آخر، والمقصود أهل الدين وليس الدين نفسه، ففي الحديث عن المواريث أن

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

اختلاف الدين يمنع من الميراث، ولكنها تقال بأن الدين لا يرث دينا آخر، أي أهل كل دين يرثون من داخلهم ولا يرث أحد من دين أحدا من دين آخر، فهي التي يقولون عنها الاستعارة التصريحية، وهي تفيد الاختصار، وبدلا من أن يقولون أن أصحاب كل دين يرثون من دينهم ولا يرث أصحاب الدين المعين من أصحاب دين آخر، تجعل الاستعارة الدين نفسه هو الذي يرث حسب التعبير اللغوي، فكأن الدين تم تشخيصه ونسبة الفعل له وليس للبشر، كما في هذا المثال: **"نازع محمدَ بن الفضل بعضُ قرابته في ميراث، فقال له: يا ابن الزنديق! قال له: إن كان أبي كما تقول وأنا مثله، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث؛ إذ كان لا يرث دينٌ دينا"**(١). فيتصور الاستخدام أن الدين هو الذي يرث، والمقصود صاحب الدين هو الذي يرث وليس الدين نفسه.

وبناء على هذا التصور الاستعاري يكون من الطبيعي أن يتحدث الناس عن البلاغة والقدرة الكلامية بصفات الرحلة والطريق والانتقال من مكان إلى آخر. ويصبح الكلام شبيها بالطريق في التصور أو العقل العربي، وإذا كان الكلام سهلا كانت الطريق سهلة، وإذا كان المتكلم جسورا فهذا ممثل المسافر أو المرتحل أو المنتقل من مكان إلى مكان ويتسم بالجسارة والشجاعة، ويكون مثله المسافر أو المرتحل في الصفات من أنه لا يهاب مخاطر الطريق أو لا تصعب عليه الرحلة بأي شكل من الأشكال، وتصبح العقبات والمخاطر في الكلام مثل العقبات والمخاطر في السفر أو مثل مخاطر السفر أو عقبات الطريق.

يقول ابن عبد ربه أيضا في وصف الجوابات المسكتة (التي **هي أصعب الكلام كله مركبا، وأعزه مطلبا، وأغمضه مذهبا، وأضيقه مسلكا؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة، يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في رؤيته، فهو كمن أخذت عليه الفجاج، وسُدّت عليه المخارج، قد اعترض الأسنة، واستهدف للمرامي، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له، ولا ما يفجأه من**

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١١١.

خصمه فيقرعه بمثله) [1]. وكل هذا الكلام ينبني على تصور استعارة (الجدال حرب)، أو الكلام رحلة وسفر وانتقال من مكان لمكان آخر لكنها رحلة محفوفة بالمخاطر. ولكنها لا تقتصر على تصور أحادي، بل هناك أنواع أخرى من الاستعارات التصورية الكثيرة الأخرى مثل (المعنى صيد) أو الفكرة صيد أو مطلب أو مقصد.

فنجد في كلامه **(مناجاة الفكرة)** التي هي أيضا استعارة تشخيصية مهمة، والفكرة مجردة دائما ما يميل العقل لتصورها بهذه الطريقة التشخيصية، وهذا كثير في اللغة العربية، فيقول قصد فكرة معينة، وكأنه توجه إليها أو سلك طريقا إليها، والفكرة تصبح مثل إنسان يريد إنسان آخر أن يصل إليها عبر السفر أو الارتحال الذي هو الكلام. والمناجاة طلب الشيء بطريقة فيها تودد أو إلحاح جميل في الطلب والسؤال.

وأيضا قال ابن عبد ربه عن هذا الباب من الجوابات أو الأجوبة **(أصعب الكلام مذهبا)**، وكلمة مذهب – بشكل عام- في اللغة العربية هي في الأصل تقوم على أساس استعاري، فهي استعارة تصورية تتصور الاتجاه الفكري مثل الذهاب في طريق أو السير في اتجاه معين. فهي جعلت المذهب الذي هو أمر فكري أو اتجاه أو توجه عقلي وفكري أو طريقة في الحديث أو في التفكير مثل الذهاب في طريق، فكلمة مذهب في أصل اللغة العربية هو مكان الذهاب أو المقصد من الذهاب.

استعارة الكلام رحلة وعرة يمكن تصورها على النحو الآتي: طريق الكلام فيه مخاطر، فيه قطاع طرق يعترضون طريق المرتحل أو المسافر، ونجد هذا واضحا في قوله: فهو كمن أخذت عليه الفجاج، وسُدّت عليه المخارج، قد اعترض الأسنة، واستهدف للمرامي، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له، ولا ما يفجأه من خصمه فيقرعه بمثله. فسدت عليه الفجاج تعبير من الحرب، أي أغلقت منافذ الهرب والجهات، والعدو أحاط به من كل جانب. وسدت المخارج أي لا يجد

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

سبيلا للفرار أو الهرب، وقد اعترض الأسنة، أي لا مناص من مواجهة أسنة الرماح والسيوف. واستهدف للمرامي، أي أنه صار هدفا للمرامي. أي لأن يكون مطعونا أو مضروبا بأدوات الحرب. فكل هذه تعبيرات الحرب وتعبيرات الرحلة الوعرة. ومن الجميل أن نلاحظ في هذه الاستعارة التصورية للكلام أنها أكثر تركيبا وتعقيدا من استعارة الجدال حرب، فهي مركبة من استعارة الجدال رحلة وعرة فيها حرب أو ينشأ عنها حرب وصراع وقتال مع قاطع طريق.

فيمكن أن نقول إن هذه الاستعارة مركبة من استعارتين تصوريتين، أي أن هناك تصورين استعاريين يتم توظيفهما لفهم طبيعة الجدال أو النقاش في الثقافة العربية والتركيب والتداخل بين التصورين أو الاستعارتين يصل إلى حد الانسجام التام بينهما. **(استعارة الكلام رحلة وعرة) (الكلام/الجدال وحرب)**. وهي عامة بعض الشيء عن استعارة الجدال حرب التي في اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى، لأن الكلام رحلة وعرة قد تنشأ عنها حرب يكون مقصودا في الحديث وألوان البلاغة بشكل عام ودليل على المقدرة البلاغية وصعوبات ومخاطر الكلام ومخاطر البلاغة بصفة عامة في رأي أو فكر أو نقاش وليس بالضرورة في الأجوبة المسكتة فقط أو في الجدال بين طرفين؛ لأن هذه التعبيرات التي وصف بها ابن عبد ربه الأجوبة المسكتة (الجوابات) يصلح أن يكون للكلام عموما وليس للأجوبة المسكتة فقط.

ومن أمثلة الاستعارة التشخيصية أيضا أن تكون الرحمة والمودة وصلة الرحم فاعلا تنسب لها الأفعال التي تنسب للبشر. ومن هذا ما جاء في قول معاوية بن أبي سفيان وعنده ابن الزبير: **"إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة، ولا ترده مودة، يسومكم خسفا ويوردكم تلفا"**[1]. هنا نوع دارج من الاستعارات التصورية التي تقوم على تشخيص المعاني المجردة وتجعلها شيئا ملموسا وله حضور فيزيائي. مثل (لا تعطفه قرابة) و(لا ترده

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٣.

مودة). يقصد معاوية أن القرابة هي التي تعطف بين الناس، أي تجعلهم يميلون إلى بعضهم شعوريا وعاطفيا. وكذلك المودة، فالقرابة والمودة أشياء معنوية مجردة، لكنها هنا ينسب لها أفعال البشر، فهي تجعلهم يعطفون على بعضهم أو ترد شرورهم عن بعضهم.

الكنايات التي تقوم على استعارة تصورية

هنا نتناول نوعا من الكنايات التي تقوم في أصلها على استعارة تصورية، فهي في الأساس ذات أصل استعاري، وإن ظهرت في النهاية في صورة الكناية. "وتتفرع هذه الاستعارات إلى استعارات فرعية أخرى، مثل يقرعه بمثله، والمقصود هو القول في مقابل ومواجهة القول أيضا وليس المقصود المعنى الحرفي للمبارزة بالسيف، بل المبارزة بالحديث أو بالكلام فهذا شكل استعاري لكنه يخرج في مظهر الكناية لأنه يتم حذف المشبه وهو الكلام يتم الاكتفاء بالمشبه به. فيتم التكنية بالمبارزة عن الكلام أو الجدال. وقد أدخل جورج لايكوف ومارك جونسون الكناية في دراسة الاستعارة لأنها في جوهرها تأتي على أساس الاستعارة أي أنها في الأصل شكل من التصور الاستعاري، وبخاصة في حالات التشخيص. يقول: رأينا في حالات التشخيص التي عالجناها، أننا نسند خصائص بشرية إلى أشياء غير بشرية كالنظريات والأمراض والتضخم.. إلخ، وفي هذه الحالات لا نحيل على كائنات بشرية واقعية، فحين نقول: جردني التضخم من كل مدخراتي، فإننا لا نستعمل لفظ تضخم للإحالة على شخص معين. ويلزم تمييز حالات من هذا النوع من حالات أخرى مثل (ينتظر طبق الدجاج فاتورة الحساب) حيث تستعمل عبارة (طبق الدجاج) للإحالة على شخص واقعي، أي ذلك الشخص الذي طلب طبق الدجاج فعلا، ولسنا هنا بصدد أمثلة لاستعارات تشخيصية، إذ لا نفهم (طبق الدجاج) بأن نفرض عليه خصائص بشرية، بل على العكس من ذلك، فنحن نستعمل كيانا معينا للإحالة على كيان آخر مرتبط به. ونسمي هذه الصور كنايات"[1].

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٥٣.

ومن هذا النوع من الاستعارات أيضا أن نقول لسان غادر، أي ينسب الغدر للسان، والغدر يكون من الإنسان وليس من اللسان، فصاحب اللسان هو الذي يغدر، ولكن يكون المقصود به الغدر الذي يأتي من باب الكلام أو من باب اللسان أي غدر الكلمة وغدر القول. ومثال ذلك قول ابن عباس لعمرو بن العاص: **لك يدان، يد لا تبسطها إلى خير، وأخرى لا تقبضها عن شر، ولسان غادر ذو وجهين، ووجهان وجه موحش ووجه مؤنس، ولعمرو إن من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول عليها ندمه، لك بيان وفيك خطل، ولك رأي وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك"**(١). فجعل ابن عباس اللسان هنا هو الذي يغدر، فكأن اللسان شخص يتخذ قرارا من ذاته أو يفعل أفعالا من نفسه. وهي تدل على شدة الإيذاء الذي يأتي من اللسان إما بقول الباطل أو الفتنة والوشاية أو غيرها.

فالأمر نفسه يحدث هنا في حديثه الذي يجعل الجدال والمناقشة الكلامية محاربة بالسيوف أو بالرماح. في قوله **(فهو كمن أخذت عليه الفجاج، وسُدّت عليه المخارج، قد اعترض الأسنة، واستهدف للمرامي، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له، ولا ما يفجأه من خصمه فيقرعه بمثله)**، فهذه كنايات ترجع إلى أصل استعاري، وتصور شيء بصورة شيء آخر.

والصراع بالكلام أو محاولة التفوق بالكلمة صراع ذهني أو عقلي مجرد، يركز على المعني، ولهذا غير ملموس بالكيفية نفسها التي يكون عليها الصراع بالسلاح أو المبارزة والاقتتال. ولهذا اكتسب هذا التصور الاستعاري من الحرب والقتال والصراع المادي الفيزيائي أنه يصبح ملموسا أو يصبح قابلا للتخيل وله أجزاء ومشتملات كثيرة. فيكون هناك خصم يحاول الاعتراض ويكون هناك أماكن للمناورة ومجال للهرب والخروج والإفلات من مكائد الخصم وتدابيره الهجومية، وهكذا ويكون الانتصار والقلق وانتظار النتيجة في النهاية. أي حسم المعركة والإجهاز على الخصم بالكلام.

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

وشبيه بهذا النوع من الكنايات التي تقوم في الأساس على تصور استعاري قوله (مانع لما وراءه) [1]، فهي كناية عن الحماية لما يملك أو أنه يمنع ما وراءه من الشر أو يمنعه من البذل. والكناية في قوله لما وراءه، فتم استخدام التعبير للدلالة على ما يقع في حماية الشخص أو في ملكيته، فيعبر بالمكان أو الفضاء (ما وراءه) عن الملكية أو الحيازة والاستحواذ.

استعارة طول اللسان وهي في الأساس كناية مأخوذة عن أصل استعاري أو تصوّر استعاري عن اللسان الطويل الذي يقدر على نيل ما يريد أو يمتد في طوله حتى ينال من الناس أو يصل إلى الألفاظ الممنوعة التي تقصر دونها الألسنة الأخرى أو لا تبلغها ألسنة قوم آخرين. ومثل هذا التعبير الكنائي الذي يتأسس على أصل استعاري قول عمرو بن العاص: وأمّا الجبن، فقد علمت قريش أني أول من يبارز، وآخر من ينازل، وأما طول لساني، فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضي الله عنه:

لساني طويل فاحترس من شذاته عليك وسيفي من لساني أطولُ(٢)

فواضح أن هذا التعبير الكنائي أو تلك الكناية لها أصل استعاري يأتي من تصور اللساني شيئا يطول ويقصر، والمقصود أنه ينطق كلاما معينا أو ينال أهدافا معينة بالكلام أو يتغلب على الآخرين. فكأن اللسان كائن حي يتحرك ويطول ويقصر.

ومن هذا النوع أيضا من الكنايات التي لها أساس استعاري ما جاء في رد جارية بن قدامة على معاوية بن أبي سفيان، حيث قال له معاوية: **ما أهونك على قومك إذ سموك جارية، قال: ما كان أهونك على قومك إذ سموك معاوية وهي الأنثى من الكلاب. قال لا أم لك! قال أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا. قال: إنك لتهددني؟ قال: إنك لم تفتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك**

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

أعطيتنا عهدا وميثاقا، وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك. فإن فزعت إلى غير ذلك فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنةً حدادا"(١). فيتم استعارة الصلابة والقتال من السيوف للألسنة، أو تصبح الألسنة بما تقدر عليه من الأذى النفسي والأذى الكلامي والردود القوية مثل السيوف أو الحديد الذي يحارب به الناس بعضهم بعضا، وهذا ما يجعلها قوية مؤلمة. فهذا التصور للألسنة يحولها إلى شيء صلب قوي له صفات مادية فيزيائية ملموسة.

وهناك استعارة أنطولوجية أخرى في جعل الكلام جمل أو دابة، يقودها المرء/المتكلم ليصل بها إلى مكان آخر، أو يستعملها ويوظفها لتحقيق أغراضه، (قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه بعد أن روّى فيه واحتفل)، وهذه الاستعارة التصورية الهدف منها إبراز سيطرة المتكلم على الكلام وعلى لغته، وبيان قدر براعته وبلاغته وإحكامه. وتقوم على تجسيم وتجسيد الكلام وجعله شيئا حيا يتم اقتياده وله ذمام، أي حبل يستخدم في القيادة أو التوجيه.

ومن هذا النوع من الاستعارة التصورية أيضا أن يكون اللسان طلقا أو حرا أو مكبلا أو ممنوعا من الكلام أو مقيدا، ومثال ذلك ما جاء في هذا القول، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي فقال: **يا ابن الزبير، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طلق اللسان رابط الجنان، فإن نطق نطق بعلم، وإن صمت صمت بحلم، غير أنه كف الكلام، وسبق إلى السنان، فأقرت بفضله الكرام"**(٢). فيجعل هذا القول من اللسان شيئا يتم تقييده أو ربطه أو أن يكون في مرة حرا وفي أخرى مقيدا، وهكذا. وكأنه شيء يتم التحكم فيه وتقييد حريته وحركته، أو أن يكون مثل الطير أو الحيوان. وهذا التصور الاستعاري مأخوذ من البيئة العربية التي يكون فيها تقييد للحيوانات مثل الخيول أو الإبل أو غيرهما.

واستعارات تجسيد وتشخيص الكلام كثيرة جدا في اللغة العربية وفي الأجوبة المسكتة وعند ابن عبد ربه في العقد الفريد، وأساسها تصور

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٩.

الكلام/المجرد بأشياء وكائنات وكيانات ملموسة ومحسوسة من البيئة العربية، فيكون في استعارة دابة أو حيوان يستخدم في الارتحال مثل الجمل، أو يكون في حالة أخرى صيدا أو حيوانا ولكن من نوع آخر، حيوان يتم اصطياده وترويضه أو استئناسه. أو يكون صنعة أو نسيج أو نول، أي الغزل الذي ينسجون به القماش قديما عند العرب. فيقول **(فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتى اطمأن شارده، وسكن نافره)** [١]. وهكذا يتم التعامل معه بطريقة التعامل مع الصيد، أو الطيور الجارحة التي يتم ترويضها أو استئناسها. فيكون التصور في هذا الاستخدام اللغوي متعاملا مع الكلام بصورة الصقر أو الكلاب التي يتم استئناسها والسيطرة على شاردها ليتم توظيفها بعد ذلك في الصيد أو استخدامها ضد الأعداء وإطلاقها على الأهداف الأخرى. وهكذا يمكن أن نقول إن هناك استعارة تتصل بهذا الاستخدام أو التصور، وهي استعارة (المعنى/الكلام صيد). فالرجل يصطاد المعنى ويعمل على ترويضه واقتناسه وتربيته واستئناسه.

من الاستعارات الأنطولوجية الدارجة في اللغة العربية في ذلك العصر ومازالت مستمرة استعارة تشخيص الدنيا، فيقولون منحته الدنيا كثيرا من الخير، أو أقبلت عليه الدنيا، أو أدبرت عنه. فيجعل الدنيا أي الحياة بخيرها وشرها تأتي في نسق تصوري يحولها إلى شخصية تنسب إليها أفعال بشرية، بأن تحب شخصا وتكره آخر. أو تقبل على شخص وتدبر عن آخر. ومن هذه الاستعارة: **"قال عقيل بن أبي طالب: وأيم الله يا معاوية، لئن كانت الدنيا مهدتك مهادها، وأظلتك بحذافيرها، ومدت عليك أطناب سلطانها- ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة، ولا تخشعا لرهبة"**[٢].

فهذه الاستعارة لها امتدادات فرعية أخرى، فيكون للدنيا مشتملات مثل أطناب ولها ظل، فجعل هذا الاستخدام اللغوي الدنيا شيئا ماديا وشخصا له أفعال، وله مشتملات وصفات. فالسلطان أو الحكم يصبح أطناب لها، وأطناب في اللغة

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٢.

تعني الحبال التي تشد بها الخيمة[١]. فهي مثل الدعائم والأربطة، وهكذا تكون السلطة.

ومن هذه الاستعارات التصورية الأنطولوجية التي تقوم على نسق تصوري أساسه التشخيص أو تصور أشياء مجردة أو مادية بصورة الأشخاص نسبه فعل الحب للقلب بدلا من أن يكون منسوبا للشخص أو لصاحبه. ومثال ذلك قول زوجة عقيل بن أبي طالب وهي من بني أمية، فهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل: **يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبدا؛ أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأن أعناقهم أباريق فضة. قال عقيل: إذا دخلتِ جهنم فخذي على شمالك"**[٢]. فالقلب في حقيقته مجرد عضو من أعضاء الجسم لا يحب ولا يكره، ولكن تنسب له أفعال الحب لأنه موضع التأثر والعاطفة، وهكذا يتم تصوره القلب كأنه شخص يحب ويكره وله إرادة واختيار، والحقيقة أن الشخص صاحب القلب هو الذي يحب ويكره وليس العضو الجسدي بذاته. وهي استعارة راسخة وقديمة وبديهية لكثرة الاعتياد عليها وكثرة تكرارها.

هناك أيضا استعارة السلطة شيء يؤكل أو يؤخذ أو يتم الاستحواذ عليه. فالسلطة والخيرات طعام، أو أكل السلطة أو ابتلع السلطة أو ابتلع الحكم أو ابتلع الولاية وأخذها لنفسه أو جعلها في بطنه. فهذه واحدة من الاستعارات التصورية الدارجة والراسخة في العقل العربي وفي استخدام اللغة العربية، ومثال ذلك قول معاوية لبعض بني هاشم "ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم"[٣].

فالمقصود بها ما أكلوا وابتلعوا من السلطة أو الولاية في عهد عثمان، حيث يتعمد معاوية في هذا الكلام أن يذكر بعض بني العباس بما حققوا من المكاسب في عهد عثمان ومع ذلك تخاذلوا عن نصرته في الفتنة الكبرى كما يرى

---

(1) لسان العرب مادة (طنب). الطنب حبل الخباء والسرادق ونحوهما، وأطناب الشجر عروق تتشعب من أرومتها. والأطْنابُ: الطوالُ من حِبالِ الأَخْبِيةِ.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٢.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٢.

معاوية ونصروا عليا أو انضموا إليه، والمعنى واضح أنه كان سيسترد منهم ما أخذوا من السلطة، فجعل هذا الاستخدام اللغوي السلطة مثل الطعام الذي يتم أكله أو الاستحواذ عليه داخل بطن الإنسان أو ابتلاعه. فهذا نوع من التصور الاستعاري الذي يحوّل السلطة التي هي شيء معنوي وقوامة على أمور الناس والحكم يحولها هذا التصور الاستعاري إلى طعام يأكله الإنسان أو يستحوذ عليه، ليكون مثل المكاسب المعهودة أو المكاسب المادية التي تحققها الكائنات الحية حين يتصارعون على الطعام والزاد والمال والمكاسب الأخرى.

هناك أيضا استعارة (**الإساءة رمي**) أو (**التقليل من شأن الإنسان إصابة ورمي**) أو الهجاء والكلام الذي يفضح شخصا أشبه بالرمي. فهذا تصور استعاري يقوم على جعل الكلام سهاما أو رميا، أو قتلا. رماه بعيب، أصابه بعيب، أو أصاب عرضه أو أصاب فلانٌ شرف فلانٍ، أي سبه وقلل منه. ومن ذلك قول ابن أبي لهب في حوار جرى بين عبد الله بن عباس ومعاوية:

كان بن حرب عظيم القدر في حتى رماه بما فيه ابن عباسِ

مازال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاد وما بالحق من

وهكذا نجد أن هذا معتاد في اللغة العربية واستخدام الناس للغة، حيث يكون هناك اعتياد على هذه التعبيرات التي تجعل أمور الإصابة المعنوية بالكلام يتم تصورها مثل الإصابة المادية في الحرب بالسلاح والسهام، وهكذا يمكن أن تكون هناك تصورات فرعية أخرى مثل أن يكون الكلام موجعا أو يكون بعض الكلام قاتلا أو يدمي بعض الكلام ويقتل. وهذه الاستعارة تتفرع أو ترتبط باستعارة الجدال حرب بنوع ما من الارتباط.

وقال معاوية ابن أبي سفيان أيضا لابن عباس: **لو وليتمونا ما أتيم إلينا وما أتينا إليكم، من الترحيب والتقريب، وإعطائكم الجزيل، وإكرامكم القليل، وصبري على ما صبرت عليه منكم، إني لا أرد أمرا إلا أظمأتم صدره، ولا آتي**

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٥.

معروفا إلا صغرتم خطره، وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذوها متكارهين عليها؛ تقولون: قد نقص الحق دون الأمل"(١).

يتم تصور الحق وهو شيء معنوي رمزي بنسق تصوري فيزيائي ومادي، يزيد وينقص، أي تنسب له الأفعال التي تنسب للأشياء المادية التي تزيد وتنقص، وهذا تقريب لمعنى الحق حتى تتصوره العقول بصورة الشيء الملموس أو الذي يتم إدراكه بالحواس.

وتفيد هذه الاستعارة التصورية أيضا في التكميم أي جعل الحق يتم تصوره بشكل كمي، أي له كمية تزيد وتنقص، أو لها حدود كمية معينة، كما تفيد أيضا أحيانا في التشخيص، فيكون الرجل واقفا بجانب الحق أو واقفا عكس الحق أو في الصف المقابل له، يكون المرء واقفا بجبهة الحق أو على الجبهة المقابلة أو المتحاربة مع الحق. وهكذا في منح أبعاد فيزيائية ومكانية وكمية للحق الذي هو أمر معنوي ويتم تقديره بوجهة النظر والأفكار أو المعتقدات. ومثال هذا أيضا من تصور الحق بصورة الشخصية قول ابن عباس في كلام بينه وبين عمرو بن العاص: **حيث مال الحق ملنا، وحيث سلك قصدنا"**(٢). فالحق هنا وهو شيء معنوي يتصوره العقل العربي شخصا يسير أو يمضي في اتجاه معين، والناس إما أن يكونوا في طريق الحق أي يسيرون معه ويشاركونه طريقهم أو أنهم يكونون في طريق عكس طريق الحق. فكأن له إرادة وقرار واختيار.

ومن استعارات تشخيص الحق أيضا ما جاء في هذا الخبر في كتاب المجنبة في الأجوبة: **قال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليا والزبير، إن عليا دعا إلى أمر فاتُّبع وكان فيه رأسا، ودعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأة؛ فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه، وأدبر منهزما قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه"**[٣]. فالحق

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٤.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٦.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩٩.

والباطل هنا يظهران بصورة تشخيصية وتصور يجعلهما يأخذان صفات البشر وأفعالهم، فالظهور والتجلي يكون للشيء المادي وللأشخاص ولما له حيز فيزيائي ويمكن رؤيته، والمقصود وضوح الحق بانتصار فريق على الآخر أو ثبات فريق أو غيرها من الأمور التي يمكن الاستدلال منها على صاحب الحق أو الفريق الذي لديه الحق في هذين الطائفتين من المؤمنين حين اقتتلا في موقعتي الجمل وصفّين.

تشخيص العلة هي أيضا من الاستعارات المتكررة والدارجة في اللغة العربية قديما وحديثا، والعلة التي هي سبب للفعل تبدو أنها هي الفاعل في كلام الناس واستخدامهم للغة، ومثال ذلك قول معاوية لبني هاشم حين اجتمعوا عنده: **يا بني هاشم، والله إن خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح؛ فلا يقطع خيري عنكم علّة، ولا يوصد بابي دونكم مسألة، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا"**(١).

فالعلة هنا فاعلة بنفسها، فهي التي تقطع الخير عن بني هاشم، والحقيقة أن العلة مجرد أسباب في العقل، أو قد تكون مرضا، والذي يقطع الخير أو يمنعه هو الإنسان/ الفاعل الحقيقي أي معاوية. ولكن اللغة جعلت العلة يتم تصورها بصورة الشخص الذي يؤدي الأفعال بنفسه، فهي التي قطعت الخير مباشرة بذاتها. ومثل هذه الاستعارات كثير في اللغة العربية وهي معتادة ومتكررة حتى صارت من بديهيات اللغة.

ويتضح أن هذه الاستعارات التصورية تفيد في تقريب المعنى وتفيد في التصور، وجعل المستمع يفهم مقصد المتكلم بصورة أفضل وبشكل أسرع، ومن خلالها يتم تقريب الأشياء التقديرية والمعنوية التي تبعد عن التصور المادي، ومن خلال الاستعارة تصبح قريبة للتصور والفهم لأنها تدخل في شيء آخر للإنسان خبرة أكبر به، فيكون الحق مثل الإنسان يمضي في طريق أو يسير في اتجاه أو يسلك مسارا معينا، والناس إما أن يصاحبوا الحق أو يصاحبوا الباطل في طريقهم

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٤.

أو في مسيرهم ومساراتهم التي يسلكونها، وهكذا يتم تصور الإنسان بأنه يمضي مع الحق في ذات الطريق، أو أنه يكون صاحبا للحق، مثلما يكون صاحبا لأحد الأشخاص في طريق أو في رحلة أو مسار.

ومن هذه الاستعارات أيضا استعارة (**الدين/العقيدة سلعة يباع ويشترى**)، فالاستخدام اللغوي في اللغة العربية تصور العقيدة أو الدين بصورة الشيء الذي يتم بيعه أو شراؤه، فالكافر يبيع دينه مقابل المال أو المنصب، والمؤمن يشتري دينه أو يفضله، وهي دالة على المقايضة وعلى الحرص على الشيء، وهذا التصور يجعل الدين في مقابلة مع الأشياء الدنيوية مثل المال والمنصب والمكانة، وهكذا فإن العقيدة التي هي شيء معنوي وعقلي وتكون مجردة وغير مادية تصبح متصورة بصورة السلعة أو الشيء المادي الذي يمسكه الإنسان في يده أو يتداوله في سوق الدنيا، حيث يبيعه أو يشتريه، وتختلف مواقف الناس منه. فهذا التصور يقرب الفهم ويجعل الشيء الذهني والعقلي شيئا ملموسا ومحسوسا.

ومثال ذلك قول ابن عباس لعمرو بن العاص: **يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية، وأعطيته ما بيدك، ومنّاك ما بيد غيره، فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى**"(١). فابن عباس هنا يقصد أن السعر الذي باع به عمرو بن العاص لمعاوية دينه سعر قليل، ومع ذلك كل واحد منهما راض بما أخذ وأعطى.

ومن هذا النوع من الاستعارات أيضا جعل الحكم سلعة أو شيء يتم تداوله ويكون في يد الإنسان، ويفقده أو يكسبه ويحصل عليه، أي يكون ذخرا ومثل المال ومثل أي سلعة أو أي شيء له قيمة، ومثال ذلك قول ابن عباس لعمرو بن العاص: **"فلما صارت مصر بيدك كدّرها عليك بالعدل والتنقص"**(٢). ويقصد حكم مصر الذي أصبح بيده وليس مصر نفسها، فجعل البلد في يده أي حكمها وسلطتها في يده، وهو أيضا كناية وتشخيص. فكونها في يده يدل على الحكم، فجعل الشيء دالا على شيء آخر.

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

المبحث الثاني: الاستعارة البنيوية وتطبيقات على نماذج منها:

وتساعد عملية فهم الاستعارات في فهم أدوارها أو وظائفها في الخطابات المختلفة، فيساعدنا فهم الاستعارة وتحليلها في فهم وظائفها في الإقناع أو وظائفها في النصوص الإبداعية، أو في فهم الخطاب السياسي أو غيرها من حالات استخدام اللغة وحالات الكلام. ومن هنا تأتي أهمية النظريات المختلفة التي سعت لفهم الاستعارة. حيث "تشكلت نظريات لتحليل الاستعارة هي: النظرية الاستبدالية والنظرية التفاعلية، والنظرية التداولية والحجاجية والمعرفية، وهي نظريات تكشف أن الاستعارة حمّالة أوجه، ولها صلة وثيقة بوجود الإنسان وكينونته من خلال سؤال المعنى المنفلت باستمرار، والذي يتطلب متابعة دقيقة في ضوء مقاربات متنوعة ومتكاملة تقتفي آثاره المتجذرة في التفكير الإنساني، والمتجلية في الأساليب اللغوية والكلام العادي في الأسواق ومختلف الأدلة السيميائية"[١].

وإذا كانت الأجوبة المسكتة في الأساس خطاب تواصلي يهدف إلى الإقناع وهزيمة الخصم في الجدال والمناقشة الكلامية والصراع الكلامي، فإن فهم الاستعارات في الأجوبة المسكتة يجعلنا نفهم بصورة أوضح تصورات المتكلمين عن اللغة وتصوراتهم وطرق استخدامها.

وتكمن الاستعارات البنيوية في بنينة أنساق تصورية، تتسم بوضوح أقل، استنادا إلى أنساق تصورية تتسم بوضوح أكثر، وهذه الأخيرة هي التي تنشأ مباشرة من تجاربنا، لنأخذ مثال: الأفكار أغذية، هنا نجد الأفكار المطبوخة، والأفكار الفجة والنية، والأفكار المنجزة، ولكننا لا نجد الأفكار المشوية، والمسلوقة أو المقلية"[٢].

وتأتي دراسة الاستعارة في الأجوبة المسكتة من باب الاستعارة التداولية أي

---

(1) عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٦.

(2) آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، العدد٤٥ الجزء٢، ربيع الأول ١٤٤٢، تشرين الأول، ٢٠٢٠م، ص٥٥٧.

دراسة الاستعارة في حوارات وكلام الناس في لغة التواصل اليومي ولغة الاستخدام العادي في الحياة. "إن إدراك الفرق بين الاستعارة التداولية والاستعارة الإبداعية يقتضي الوعي بالطبيعة الجزئية للبنينة الاستعارية للتصورات، ذلك أن الاستعارة لا تستنفد سمات المستعار منه بطريقة شمولية، إذ تقتضي بعض السمات الدالة لفهم مجال معين انطلاقا من مجال آخر، وتهمل سمات أخرى مندرجة في الاستعارة العامة، ومعنى هذا أن الاستعارة التداولية تنهض على أساس السمات والعناصر المستعملة المؤثثة للسلوك اللغوي في الحياة اليومية، فالمستعار منه قد يملك سمات متعددة يحفل بها حقله الدلالي، إلا أن هذه السمات تصنف إلى ما هو مستعمل وإلى ما هو مهمل، ولتحقيق الفاعلية التواصلية يجنح المتكلم إلى استعمال السمات البارزة المألوفة حسب العرف والعادة المحايثين التي تستلزمها السياقات التداولية في الحديث اليومي"[١]. فسياقات استخدام اللغة اليومية تتغير بحسب الهدف من الكلام، ولذلك فالاستعارات أيضا تتغير وتكشف عن تصورات الناس لها وللأشياء والموضوعات التي يتحدثون فيها.

فهناك فرق كبير بين اللغة في الاستخدام اليومي واللغة في النصوص الإبداعية من حيث نوع الاستعارات وكمها، "والاستعارات الإبداعية لا تتسم بالاعتياد أو الرتابة أو التكرار، فهذا النوع من الاستعارات يتواجد على مستوى الخطاب الشعري، الفلسفي، السياسي، وغيرها، الجمالي والفني أو الإبداعي، حيث تعمل على بناء علاقات جديدة غير معهودة بين الموضوعات، إنها تعرف بالاستعارات الإبداعية، وهذه الأخيرة تعمل على تجاوز الأنماط البلاغية السائدة من قبل وتقوم على ابتكار توليفات دلالية جديدة بين الاستعارات المتداولة والمستهلكة"[٢].

والاستعارة البنيوية هي أن يبنين تصورٌ ما استعاريا بواسطة تصور آخر.

---

(1) عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٦٩.

(2) آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، العدد٤٥ الجزء٢، ربيع الأول ١٤٤٢، تشرين الأول، ٢٠٢٠م، ص٥٥٩.

ومثال ذلك فهم المناظرة الكلامية ضمن مقولة الحرب، فنقول: الجدال حرب فنسقط تمثلنا الخاص بالاستراتيجيات الحربية على عملية التخاطب. فإذا كانت الحرب تتطلب مشاركين وتخطيطا ودفاعا وهجوما وربحا وخسارة فإن الجدال الكلامي على سبيل التماثل يدرك انطلاقا من هذا التصور الحربي، فنكون إزاء صراع كلامي بين طرفين يستعمل كل واحد منهما عتاده من الأدلة اللغوية لدحض موقف الآخر وأطروحته، لتحقيق النصر وإلحاق الهزيمة بالخصم أو العدو، وبهذا تكون الاستعارة البنيوية آلية استدلالية نتوسل بها لفهم مجال بمجال آخر أكثر بنينة وتجذرا في نسقنا التجريبي والثقافي"[١].

وبالتالي فإن الاستعارات هدفها البيان، أي بيان الشيء الغامض، ولكن بعد أن تتكرر الاستعارات تصبح هذه الأشياء بديهية وواضحة للعقل، ويمكن أن ينسى الناس أنها استعارة، ولا فرق في ذلك بين أنواع الاستعارات التصورية المختلفة، من الاتجاهية والأنطولوجية والبنيوية، حيث "تتأسس الاستعارات البنيوية شأنها شأن الاستعارات الأنطولوجية والاتجاهية على ترابطات نسقية داخل تجربتنا. ولكي نفهم ما نعنيه بكلامنا هذا بدقة سندرس أساس استعارة الجدال العقلي حرب. تسمح هذه الاستعارة بإقامة تصور لما هو الجدال العقلي بالاستعانة بشيء نفهمه بسهولة أكبر، وهو الصراع الفيزيائي. إننا نجد العراك في مملكة الحيوان، ولا نجده بهذا الشكل في مكان آخر إلا عند الحيوانات البشرية. فالحيوانات تتعارك من أجل الحصول على ما تحتاج إليه (من أكل وجنس أو ملكية إقليم أو سلطة، .... إلخ)؛ لأن حيوانات أخرى ترغب في نفس الأشياء وتريد منع الآخرين من الحصول عليها. ونفس الشيء بالنسبة للبشر، باستثناء أننا طورنا تقنيات دقيقة جدل لنوال مآربنا"[٢].

إن فهم وتأويل الاستعارة يحيلنا بشكل مباشر إلى إنتاج معنى جديد، ذلك

---

(1) عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٦٨.

(2) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٨١.

المعنى الناشئ انطلاقا من تقاطع مجالين، مجال مصدر وآخر هدف، فبمجموع التقاطعات الحاصلة تشابها بينهما كون الذهن معنى خاصا حقق به تصورا معيّنا، وهذا لا يتم إنتاجه إلا وفق أربعة مداخل حددها علم الدلالة العرفاني كالآتي: ١- المقولة النموذج (النموذج النمطي)، حيث إن الإنسان لا يباشر العالم بشكل فوضوي بل يخضعه لنظام يرتب ما يبدو مشتتا غير مترابط، فيقوم بتصنيفه وترتيبه وتبويبه، وعند نظرنا إلى شيء ما باعتباره نوعا من الأنواع، فنحن نمارس فعل المقولة. ٢- الفهم: أسس العرفانيون لرؤية إنسانية نسبية للفهم تتجاوز الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية، وهي الرؤية التي تتبناها النظريات الموضوعية التي رفضت الفهم لأنه يستدعي الذاتية الإنسانية في تحقيق المعنى الموضوعي بطبعه في نظرها بمعزل عن أي إدراك فردي له، ذلك أن المعنى عندها موجود سلفا قبل وعينا به. ٣- الخيال: حيث إن الخيال عند العرفانيين هو جوهر المعنى والتفكير الإنسانيين، وهو الذي يبنين جزءا كبيرا من نظامنا التصوري، وبني المتخيل هي الملك المشترك الذي من خلاله نحاول فهم العالم من حولنا، وإدراكه بطريقة تسمح لنا بالتواصل والتخاطب بيننا"[1].

فهم شيء من خلال فهم شيء آخر

وهكذا فإن غاية الاستعارات البنيوية هو فهم شيء من خلال شيء آخر يكون أكثر وضوحا منه، "ومعنى هذا أن انبثاق الشرارة الاستعارية مصدره إرادة فهم تصورات مجردة من خلال تصورات ملموسة متجذرة في نسقنا التجريبي والثقافي. كما أن التجلي اللغوي الاستعاري القائم على الاستبدال رهين ببنية التفكير المجازي في أصلها. ومن هنا كان لزاما التمييز بين الاستعارة بوصفها بنية ذهنية مجازية، والتعبير الاستعاري ذي المظهر اللفظي الدال على التباين بين مجالي الاستعارة. ومن ثم فإن أساس الاستعارة ليس اللغة، وإنما الكيفية التي نتصور بها مجالا ذهنيا معينا بواسطة مجال ذهني آخر. وذلك قصد فهم الأشياء

(1) عبد المطلب عبد الحق، وعواطف قاسمي الحسني، جمالية الاستعارة التصورية بأنماطها الثلاثة (الأنطولوجية/البنيوية/ الاتجاهية) من خلال كتاب نهج البلاغة، مجلة اللسانيات التطبيقية، المجلد ٠٦ العدد ٠٣ السنة: ٢٠٢٢م، الصفحات (٢٨٦-٣٠٠). بتصرف.

المجردة والأقل انبناءً من خلال أشياء ومجالات ملموسة وأكثر بنينة"[١]. أي أن الأساس يكون في التصور، فالشيء الذي يمكن تصوره بوضوح لأنه حاضر بشكل فيزيائي يتم الاعتماد عليه في فهم شيء آخر غامض أو ليس له أبعاد فيزيائية ومادية ويكون تخيله وفهمه صعبا.

وهذه هي طبيعة عمل العقل عند الإنسان وطبيعة تعامله مع اللغة، فيحول الأشياء الصعبة إلى أشياء قريبة منه ومن طبيعته، "وبما أننا حيوانات عاقلة فقد جعلنا صراعاتنا مؤسساتية بطرق متعددة، ومنها الحرب، إلا أنه وإن كنا قد جعلنا المعارك مؤسسية على مر العصور، واستخدما عبقريتنا في إيجاد الوسائل الفعالة في القتال فإن البنية الأساس للمعركة تظل في العمق ثابتة لا تتغير، ففي المعارك التي تدور بين حيوانين، لاحظ العلماء عددا من الممارسات: التحدي قصد تخويف العدو، وغزو مساحة العدو، والدفاع عن الموقع، والهجوم، والهجوم المضاد، والانسحاب أو الاستسلام والمعركة البشرية تتضمن كل هذا"[٢].

ومن هذه الأمثلة **"استعارة الجدال صراع أو حرب أو معركة"**، وفيها يدرك الإنسان الجدال ويتصوره كمعركة. فالعقل يتصور الصراع بالكلمة مثل الصراع بالسيف والرمح وأدوات الحرب.

فأنت تتصور الجدالات وتدركها وتنجزها بالرجوع إلى استعارة الجدال حرب؛ لأنها تشكل جزءا من النسق التصوري للثقافة التي نعيش فيها، والأمر لا يقتصر على كون الجدالات العقلية التي يفترض أنها تصل إلى مستوى مثالي من الجدال العقلي، تتصور وتدرك باعتبارها حربا، بل إنها كلها تقريبا تتضمن بشكل خفي الأساليب التكتيكية غير العقلية الجائرة التي يفترض أن الجدالات العقلية بشكلها المثالي تتجاوزها. وهذه بعض الأمثلة:

---

(1) عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٦٧.

(2) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٨١.

يشتمل الجدال على بعض التكتيكات المتوافرة بشكل أساسي في الحرب البدنية أو الصراع المادي والفيزيائي بين البشر، مثل: التحدي- التهديد – التسلط- الشتم- الاستخفاف- المساومة- التهرب- الانسحاب- المناورة.

"الوسائل التكتيكية الوحيدة المسموح بها هي مبدئيا إقامة مقدمات منطقية، وسرد براهين تؤكد ما نذهب إليه، ورسم استنتاجات منطقية، إلا أنه حتى في الحالات المثالية، حيث تتوافر هذه الشروط، فإن الجدال العقلي يدرك وينفذ بواسطة الحرب. فثمة دائما مساحة نغزوها أو ندافع عنها، ويمكن أن نربح أو نخسر، ولنا عدو نهاجمه ونحاول تقويض موقفه، أو نحاول هدم استدلاله، وإذا نجحنا في ذلك يكون العدو قد سحق"(١).

تطبيقات على الاستعارة البنيوية:

ومن هذا النوع نفسه من الاستعارات البنيوية التي تدل على أن تصور شيء أو مجال من خلال تصور مجال آخر ما في هذا المثال في قول جارية بن قدامة لمعاوية بن أبي سفيان: إنك لم تفتتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا"(٢).

ومن الاستعارات الأنطولوجية والبنيوية التي تحول الشيء المجرد إلى كيان أو مادة استعارة الإصابة في البصيرة التي جاءت على لسان عقيل بن أبي طالب في هذا الجواب المسكت: **"فقد دخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره، فأجلسه معاوية على سريره، ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، قال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم!"** (٣). فهذه الاستعارة تأتي من نسق تصوري يجعل البصيرة مثل البصر شيء مادي أو عضو مادي ملموس، أو

(1) جورج ليكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩م، ص٨٢ و٨٣.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص١١٢.

(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩١.

له كينونة مادية. فهو نوع من التقريب للبصيرة أو جعلها مرئية ويتم إدراكها بالبصر مثل البصر، فالإصابة تكون بالسهم، أو الشيء الذي يرمى به الهدف. وإصابة الهدف تعني أن يصيبه السهم، وهي الاستعارة التي تطورت في العصر الحديث حيث أصبح يتم استخدام كلمة إصابة في الأمراض المجردة أو في الأشياء التي ليس فيها رمي سهم أو إصابة شيء بضربة أو في حرب.

استعارة النار مكان له حدود، وهي من الاستعارات الأساسية في الثقافة الإسلامية وأصبحت مفهومة بشكل مختلف بعد الإسلام، فالنار التي يستخدمها الناس للوقود أو للطهي والإنارة لم تعد هي نفسها أو المفهوم ذاته بعد الإسلام، بل أصبحت مكانا يشير إلى العقاب أو الجحيم الأخروي، جحيم الآخرة الذي يستحقه الذين ابتعدوا عن طريق الله. وبدأ المسلمون من خلال القرآن والحديث يتصورون النار بصورة المكان المحدد بحدود وله مدخل أو مداخل عديدة ويدل على الجحيم والعذاب. فأصبحت النار مثل بيت لها تصور معين وظهر هذا في لغة المسلمين عنها في القديم وفي الحديث. ومثال ذلك ما نجد في كلام عقيل مع معاوية بن أبي سفيان: يا معاوية، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار، فإنك ستجد عمي أبا لهب يفترش عمتك حمالة الحطب؛ فانظر أيهما خير، الفاعل أو المفعول به"[1].

فنجد أن هذا التصور الاستعاري الذي يجعل الجحيم مكانا محددا بحدود وله أبواب ومداخل له توابع، فيدخله الإنسان، والفعل يدخل يكون في الغالب بإرادة الشخص واختياره. والمقصود ليس هذا أن المرء يدخل النار بإرادته، ولكن المقصود أن يكون هذا مصيره أو هذا أمر الله فيه. فيتم التعبير عنها بصورة مختلفة أو بنسق تصوري مختلف كأنها بيت أو مقصد ومكان معين يعيش فيه الإنسان. ولهذا كانت الصورة المتخيلة بعد هذا التعبير عن أبي لهب وزوجه حمالة الحطب يرتبط بهذا التصور، فكأنهما يعيشان في النار حياة الزوجية بشكل طبيعي، وهذا ما يؤكد التصور الاستعاري وتصور النار كأنها بيت.

ومن الاستعارات التصورية البنيوية التي تحول الأشياء المعنوية إلى كيان

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩١.

مادي ملموس قول معاوية بن أبي سفيان عن الدنيا في حديث بينه وبين عقيل بن أبي طالب: قال معاوية نعتها أبا يزيد نعتا هش لها قلبي؛ وإني لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما ردّاني برداء ملكها، وحباني بفضيلة عيشها، إلا لكرامة ادخرها لي؛ وقد كان داوود خليفة، وسليمان ملكا؛ وإنما هو المثال يحتذى عليه، والأمور أشباه؛ وأيم الله يا أبا يزيد، لقد أصبحت علينا كريما، وإلينا حبيبا، وما أصبحت أضمر عليك إساءة"(١).

فنجد أن معاوية في هذا الاستخدام اللغوي (إلا لكرامة ادخرها لي) يجعل الكرامة التي هي شيء معنوي يتم تصورها ضمن نسق تصوري آخر يجعل منها شيئا ماديا ملموسا، كأنها شيء ثمين يتم ادخاره أو إخفاؤه.

ومن الاستعارات البنيوية التي تحول الشيء المجرد العقلي إلى شيء مادي له وعاء أو فضاء ومساحة ما جاء في قول معاوية بني أبي سفيان: ومثال ذلك قول معاوية لبني هاشم حين اجتمعوا عنده: **يا بني هاشم، والله إن خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح؛ فلا يقطع خيري عنكم علّة، ولا يوصد بابي دونكم مسألة، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا"**(٢). فنجد ذلك التصور الاستعاري في قوله نظرت في أمري وأمركم، والفعل نظرت هو بذاته استعارة لأنه يعني تدبرت وتأملت، فتتم استعارة الفكر والتدبر بالنظر، ويصبح تبعا لهذا التصور الاستعاري (الأمر أو الشأن أو المسألة) شيئا له فضاء أو وعاء، فيقولون نظر في أمره. نظر في المسألة، نظر في شأنه، وهكذا. وبناء على هذا النسق التصوري الذي يتعامل مع الأفكار والأمور العقلية من خلال النظر أو حاسة الإبصار والرؤية تكون هناك أنواع كثيرة من الاستعارات التصورية، مثل رأيت رأيا، أو وجد فكرة. وغيرها من الاستعارات المشابهة التي تخرج بالأفكار والأشياء العقلية المجردة إلى حيز الأشياء المادية المحسوسة التي يتم إدراكها بالحواس.

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩١.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٤.

استعارة النسب فراش. حيث يتم تصور النسب والاسم والقبيلة بالفراش، وهي من نوع الكناية التي تتبني على أساس استعاري، وبالتحديد على استعارة تصورية، تتصور الحسب والنسب بالفراش، فهذا فراش فلان أو فراش رجل من بني فلان يعني أن الأبناء ينسبون لهذا الفراش. ومن ذلك قول ابن عباس لعمرو بن العاص: **لأنك من اللئام الفجرة! وقريش الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه، ولا يكتمون حقا علموه، وهم أعظم الناس أحلاما، وأرفع الناس أعلاما، دخلتَ قريش ولست منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا في بني هاشم رحلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك، فأنت الأثيم الزنيم الضالّ المضل، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحلمه، وتسمو بكرمه"**(١). هذا الاستخدام للغة يقوم على تصور الفراش هو النسب والحسب، فراش رجل في قريش يعني حسب ونسب ينتمي إلى قريش، ولذلك قال له ابن عباس الساقط بين فراشين، أي أنه مشكوك في أمره، والفراش الذي هو اسم مكان للنوم والولادة وإقام الرجل والمرأة يصبح دالا على النسب والحسب واسم القبيلة.

ومن هذا التصور الاستعاري أو الاستعارة التصورية نوع أساسي وهو أن تصبح القبيلة مكانا، أو فضاء يدخله الناس أو يخرجون منه. ففي فعل النسب أو ذكر نسب الرجل وقبيلته يتم استخدام خرج في قبيلة كذا أو دخل في قبيلة كذا، أو أدخله الناس في قبيلة كذا أو أخرجه الناس من قبيلة كذا. فيقولون أدخله الناس في قريش، أو أدخل نفسه في قريش، ولا يكون المقصود أنه دخل مكان القبيلة أو موضع إقامتها، وليس المقصود بالدخول الانتقال الفيزيائي من مكان إلى مكان، بل المقصود الحسب والنسب والانتماء للقبيلة.

فهذه استعارة تصورية أساسية في اللغة العربية حيث يتم تصوّر القبيلة والحسب والانتماء الذي هو شيء معنوي ومجرد ليصبح ماديا أو فيزيائيا، فيتم تصوره عبر الحركة والمكان والدخول في مكان. فتصبح القبيلة وعاء أو فضاء أو ساحة، ولا تكون القبيلة بذاتها هكذا، بل يصبح اسمها وحسبها ونسبها وعاء

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٦.

يضم أفراد القبيلة أو أعضاءها.

وقريب من هذا التصور الاستعاري للقبيلة التي تصبح مكانا أو ساحة أو فضاء أو بيت، ما جاء في قول معاوية بن أبي سفيان لعبد الله بن الزبير، فقال معاوية: **قاتلك الله يا ابن الزبير، ما أعياك وما أبغاك. أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله؟ إنك أنت المعتدي لطورك، الذي لا تعرف قدرك؛ فقس شبرك بفترك؛ ثم تعرّف كيف تقع بين عرانين بني عبد مناف؛ وأمّا والله لئن دفعت في بحور بني هاشم وبني عبد شمس لقطعتك بأمواجها، ثم لترمين بك في لججها؛ فما بقاءك في البحور إذا غمرتك وفي الأمواج إذا بهزتك؟ هنالك تعرف نفسك؛ وتندم على ما كان من جرأتك، وتمسي ما أصبحت فيه من أمان وقد حيل بين العير والنزوان"**[1]. فالقبيلة أو القبيلتان هنا أصبحتا بحرا أو بحورا ولها أمواج تتقاذف من يرمي نفسه فيها أو يتحدى الأمواج، وهي دليل على القوة والاتساع وأنه لا يقدر أحد عليها أو لا يغلبها أحد، فالقبيلة تصبح مكانا متسعا فيه مخاطر شديدة.

وهناك أيضا أشياء من قبيل تحويل الشيء المجرد إلى شيء له وزن مثل المسألة أو السؤال، يكون خفيفا أو ثقيلا، وهو بالأساس لا وزن له، بل يمكن أن يكون سهلا أو صعبا أو محبوبا أو غير محبوب أو مقبول أو غير مقبول، وهكذا، ولكن يتم استعارة تصور الأشياء الفيزيائية التي يتم حملها للأسئلة أو المطالب أو الرغبات التي يوجهها أشخاص لأشخاص آخرين، فإما أن تكون ثقيلة أو خفيفة، وهو تصور يقوم على فكرة الحمل، أو نقل شيء من مكان إلى مكان آخر. ومثال ذلك قول عمرو بن العاص لابن عباس: **والله ما في قريش أثقل عليّ مسألة، ولا أمرّ جوابا منك، ولو استطعت أن لا أجيبك لفعلت"**(٢). فالاستخدام اللغوي الذي يأتي على لسان عمرو بن العاص هنا يجعل السؤال شيئا فيزيائيا له وزن أو ثقل، فإما أن يكون خفيفا في حمله أو يكون ثقيلا، وكذلك استعارة الجواب يكون مرّا أو

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٠ و١٠١.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

حلوا، وكأن له طعم، فيتم استعارة تصور الأشياء المادية المتذوقة التي يكون لها طعم حلو أو مر للجواب أو للإجابة والكلام أو الرد، فيكون الشيء المعنوي محسوسا أو مدركا بالحواس.

ومن الاستعارات البنيوية استعارة **(الخطورة وطأة أو ثقل الخطوة)** أي أن خطر المرء يتم تصوره بثقل الخطوة أو ثقل وطأته، والوطأة أي أن يدوس المرء بقدمه على شيء أو يلقي بجسده على شيء، فيتم التعبير عن الخطورة أو خطر المرء وتأثيره بثقل وطأته أو خفتها، ومثال ذلك ما جاء في قول عمرو بن العاص: **وأما خفة وطأتي عليكم بصفّين فلما استثقلتم حياتي، واستبطأتم وفاتي؟"**(١). فيكون تأثير المرء وقياس خطره يتم من خلال تصور أثر قدمه أو وطأته، فكأنه يدوس شيئا حيا بقدمه أو يصدم شيئا بجسده أو يقع على شيء بجسده فيقتله، وهو مأخوذ من البيئة التي يمكن أن يطأ فيها الجمل أو أي حيوان حشرة أو حيوانا صغيرا فيقتله. فهذا التعبير مأخوذ من مفردات البيئة العربية والطبيعة التي قد تقتل الحيوانات بعضها أو تقتل بعض الحشرات أو يطأ كائن ضخم كائنا آخر أصغر، ولكن التعبير حين يصبح قديما يستقر ويكون بديهيا ويوصل المعنى الجديد بشكل مباشر وكأنه ليس فيه استعاره في أصله أو أساسه التصوري، وقد يكون هذا الاستقرار في التعابير الاستعارية دليل على نجاحها في أداء مهامها التعبيرية الجديدة.

ومن الاستعارة البنيوية التي تحول الأشياء المعنوية إلى كيان ومبنى ومادة، ما جاء في هذا الكلام بين مروان بن الحكم والحسن بن علي، **"قال مروان: إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء. قال: وما هي؟ قال: الغلمة. قال: أجل، نزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأموية إلا هاشمي"**[٢]. فالغلمة التي هي شدة الشهوة للجماع شيء معنوي، يجعلها هذا الاستخدام اللغوي كأنها شيء له كيان مادي فيتم نزعها أو

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٩٧.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٤.

زرعها في نفوس الناس. فيتصورها العقل العربي مثل كثير من الخصال المعنوية بصورة الشيء المادي، كأنها سيف أو خنجر أو أي شيء آخر، فتوضع في عاطفة الإنسان ومشاعره أو يتم تثبيتها بداخله، فعاطفة الإنسان وداخله شيء معنوي، وهذه الخصلة شيء معنوي أيضا، ولكن الاستخدام اللغوي يتصورها بهذه الكيفية عن طريق الاستعارة التصورية، فتصبح هذه الأشياء كيانات مادية ملموسة ومحسوسة، يستخدم معها الفعلان (نزع) و(وضع)، وهي في الأصل للأشياء الصلبة ذات الكيان المادي.

وهذا النوع من الاستعارات التصورية كثير مما يقوم على تحويل الأشياء إلى كيانات مادية، ومثل ذلك قول معاوية بن أبي سفيان وعنده قوم من قريش: **أحمد الله يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضي على القذى، ويتصام عن العوراء، ويجر ذيله على الخدائع"**(١). فالخدائع شيء معنوي يجر ذيله عليها أي يتجاوزها ويمر عليها دون مشاكل أو يحاول تناسيها أو التغاضي عنها، فكأنها شيء في الأرض حين يمر بها ويجر ذيله عليها يطمسها أو ينساها. وهي استعارة تدل على أنه يظل يمضي في طريقه ويتقدم في سيره دون أن يقف على الخدائع ليثير المشاكل ويجدد الصراع بينه وبين قومه من قريش، ويقصد معاوية أنه رجل حكيم يلقى من بعضهم أحيانا خدائع لكنه يجر ذيله عليها ويمضي.

فهذا الاستخدام الاستعاري يخرج بالخدائع والمكائد من حيز الأشياء العقلية والذهنية إلى حيز الأشياء الفيزيائية الملموسة والمحسوسة، ويتضح المعنى بالدمج بين الخدائع التي تتحول إلى شيء مادي وكيان مادي ملقى على الأرض وبين ذيل الثياب التي تُجرّ وتمضي فوق هذه الخدائع، ليكتمل المعنى بالاثنين معا، ولتوصل معنى أن معاوية يمضي إلى الأمام ويتجاوز عن الخدائع، وهي المواقف السيئة وهي جمع خديعة وتعني المكيدة أو التخطيط لإلحاق الضرر به.

وتوجد أيضا استعارة (**استعمال القريحة**)، وهي أيضا استعارة تصورية إدراكية من نوع الاستعارة الأنطولوجية، التي تحول القريحة التي هي شيء

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص١٠٦.

معنوي مجرد آلة أو أداة ملموسة، وهي مثل استعارة الذهن آلة التي تضرب بها لايكوف وجونسون المثل، فالقريحة شيء معنوي نفسي واستعمالها يحولها إلى تصور يجعلها ذات فضاء حسي أو طبيعة فيزيائية.

ومثل هذا النوع من الاستعارة تحويل القلب إلى وسيلة مادية لها كيان، ومن ذلك هذا المثال: **عدّد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبا، فقال يا أمير المؤمنين، لم ترد الأمور على أعقابها؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا، ولئن مددت فترا من غدر لنمدنّ باعا من ختر، ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك. قال فإني أفعل"**[1]. هنا نجد أكثر من استعارة تصورية، تحول الشيء المعنوي إلى مادي لهع كيان ملموس ومحسوس، مثل القلب الذي يتحول إلى آلة، وهو مثل المثال الذي طرحه لايكوف وجونسون عن الذهن آلة، فالقلب هنا يصبح آلة يحب بها الإنسان ويكره أو يبغض. وأيضا استعارة أخرى في قوله فترا من غدر، والفتر هو مقياس إصبع، والباع هو الذراع، والفتر والغدر شيئان معنويان، الفتر القطع والغدر معروف، وهو أن يغدر إنسان بإنسان أي يضمر له الشر. واستعارة القلب آلة تجعل القلب ملموسا وظاهرا وله حيز فيزيائي، أما الاستعارتان الأخريان فالهدف منهما الكم أو الكمية، تحديد كمية الغدر أو كمية الفتر.

وقريب من هذا النوع من الاستعارة قوله (**عند البديهة**) [2]، فيجعل للبديهة وعاء أو حيز وفضاء فيزيائي، وهي شيء معنوي يقصد به سرعة الإجابة. أو الجواب الحاضر. وهذا التعبير يجعلها مثل مكان أو كيان أو شيء ملموس ومحسوس له وعاء أو فضاء، أو يجعلها تحضر أو تغيب، ففيه تجسيم وتشخيص للشيء المعنوي المجرد.

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١١٣.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

وهناك أيضا تعبير **(ضَيّق العطن)** [١] هي أيضا استعارة لأنها تتصور الصبر بصورة المكان أو الحيز والوعاء الذي يكون ضيقا أو متسعا، ومنها استعارة حديثة أو تستخدم في اللغة العربية الحديثة مثل صبره ضيق، وكأن الصبر مكان أو مساحة أو فضاء ومجال محدود بحدود مادية وفيزيائية. وقريب منها أيضا ما نقول في اللغة العربية المعاصرة **(نفد صبره)** وكأن الصبر مادة تخلص أو تنفد وتنتهي سواء كانت سائلة أو جامدة، فهي مثل شيء ملموس يصرف منه الإنسان فيكون كثيرا أو قليلا. وهذه الاستعارات التصورية صارت بديهية أو جزءا من طبيعة اللغة العربية، وهي أساسية في جعل الأشياء المعنوية والنفسية غير الملموسة يتم إدراكها وتصورها بصورة الأشياء المادية من الطبيعة، فتكون الأفكار مثل الطعام والحيل والمكائد أشياء مادية مثل الماء والطعام والزاد، فيقولون نفد صبره، ونفدت أفكاره ونفدت حيله، أو مازال في جعبته أفكار أخرى أو مازال يتبقى لديه صبر أو مازالت مكائده متجددة أو متوالدة، وهكذا .. إلخ.

وهناك أيضا استعارة **(القرابة حبل)** أو **(صلة الرحم حبل أو رباط)**، فهي تقوم على تصور الروابط بين الناس بالنسب مثل حبل أو رباط يربطهم ببعضهم، فيتحول الشيء المجرد المعنوي مثل العلاقات الأسرية وقرابات الدم إلى حبل أو رباط، وهذه الاستعارة تسمح بأن يكون هناك توابع أو أجزاء ومفردات أخرى تتصل بهذه الاستعارة مثل أن يكون هناك قطع لهذا الحبل أي قطع صلة الرحم أو تجاهل هذه الرابطة، أو العكس، بأن يصل هذا الحبل أي أن يصل رحمه وأقرباءه ويحسن إليهم.

ومثالها أيضا ما جاء في قول معاوية بن أبي سفيان: **فإن استعملتكم ضيّعتم وإن عزلتكم قلتم استخفّ بنا وقطع أرحامنا"**[٢]. وهنا نجد أكثر من استعارة وليس استعارة واحدة، فاستعارة الرحم والقرابة والنسب حبل يوصل أو

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٨٩.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٨.

يقطع هي الظاهرة الواضحة وهي من الاستعارات المشهورة المنتشرة بكثرة في اللغة العربية في القديم والحديث. ولكن هنا أيضا استعارة بنيوية أخرى وهي استعارة (**الهيبة وزن**) فيجعل هذا التصور هيبة قوم من الأقوام أو قبيلة من القبائل يتم إدراكها وتصورها كما لو كانت شيئا ماديا يوزن أو يتم وزنه، وهذا ما يمكن أن يفهم من قوله (استخف بنا) وفي القرآن الكريم (استخفّ قومه فأطاعوه) أي لم يجد لهم وزنا أو هيبة ورأيا، وأنهم ليسوا أهل مكانة، وقياس الشيء المعنوي المتجرد من القيمة والمكانة والهيبة بمقياس الوزن أو الثقل والاستخفاف يأتي من باب التصور الاستعاري الذي يفهم منه شيء معنوي من خلال شيء آخر مادي. فالإنسان يعطي القيمة والأهمية في الغالب للأشياء الثقيلة، والأشياء تقدر قيمتها بالميزان دليل على حجمها، فهذا ما يكون مع الطعام والذهب وكل شيء نفيس، وقياسا على هذا الفهم المادي للأشياء التي يتم وزنها أدخل العقل اللغوي العربي الأشياء المعنوية في هذا التصور، فجعل هيبة الناس وقيمتهم إما ثقيلة أو خفيفة، فيستخف الشخص بقوم أو يجد لهم وزنا وقيمة، وهكذا. ومثل هذا كثير في كلام العرب فنجد القيمة الشعرية والقيمة البلاغية يتم قياسها أيضا بالوزن، فيقولون فلان لا يزن شيئا بين الشعراء، أو ليس له وزن بين الأدباء، أو ليس له وزن بين المحاربين والفرسان، وهكذا.

وقال معاوية بن أبي سفيان لعقيل ابن أبي طالب: ما أبين الشبق[1] في رجالكم يا بني هاشم، قال: ولكنه في نسائكم أبين يا بني أمية"[2]. فالشبق الذي هو رغبة وأمر نفسي ومعنوي يجعله الاستخدام اللغوي شيئا ماديا ملموسا ويكون واضحا أو مكشوفا. فاستخدام صيغة أبين (أفعل التفضيل) من الفعل (بان)، أي ظهر واتضح. كأن الشبق شيء يتم إدراكه بالبصر أو بالحواس.

ومثل هذا أيضا ما يقال عن (**زرع البغضاء**)، وهي استعارة دارجة ومنتشرة في اللغة العربية، فيقولون زرع الحب بين الناس، أو زرع البغضاء، أو زرع

(1) الشبق اشتداد الشهوة.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص٩١.

الكراهية، أو يحصد الكراهية، وهكذا في تحويل للشيء المعنوي المجرد إلى شيء مادي ملموس، مثل قول خالد بن عبد الله لمعاوية بن أبي سفيان: **استعملتني على العراق، وأهله رجلان؛ سامع مطيع مناصح، وعدو مبغض مكاشح؛ فإما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه ليزداد ودا إلى وده، وأمّا المبغض المكاشح، فإنا داريناه ضغنه وسللنا حقده، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك؛ وإن هذا جبى الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال"**(١). فالبغضاء التي هي شيء معنوي مجرد تزرع وتنبت، والحقد كأنه سيف يتم سله أو سحبه وأخذه من جسد الإنسان، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك هي أيضا استعارة بنيوية تصنع للمودة كيانا ماديا، وكأن المودة شيء مادي مثل الماء أو الرمل أو أي شيء آخر ويمكن أن تزيد أو تقل، ويصبح قلب الإنسان وعاء يحتوي عليها.

ومن الاستعارات البنيوية أيضا أن يعطي أحد الأشخاص عهدا لشخص آخر، والعهد يكون التزام به وليس إعطاء، فاستخدام الفعل أعطى مع الأشياء المعنوية يجعلها ذات كيان مادي، وهو من باب الاستعارة التصورية التي تحول الشيء المجرد المعنوي إلى مادي، على نحو ما نجد في قول جارية بن قدامة لمعاوية بن أبي سفيان: **إنك لم تفتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا، وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك. فإن فزعت إلى غير ذلك فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنةً حدادا"**(٢). فالعهد والميثاق أشياء معنوية الفعل الأنسب لها الالتزام ولكن الاستخدام العربي جعلها أشياء مادية يعطيها أحد لأحد آخر، وكأنها مال أو طعام أو سلاح أو أي شيء مادي.

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، الجزء الرابع، ص١٠٨.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص١١٢.